ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

العدد (5363) السنة العشرون - الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplements.com

ذاكرة عراقية

إنقلاب 8 شباط الأسود

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplementscom

في ذكرى رحيله في 2 شباط 1985

هكذا تعرفت على جعفر الخليلي ومجلة «الهاتف»

كـــريـــم مـــروه

كان ذلك في أواخر أربعينات القرن الماضي. وكان منزل حسين مروة في مدينة الكاظمية مركزاً رحباً للقاءات المثقفين العراقيين والمثقفين اللبنانيين الذين كانوا كثراً في العراق في تلك الحقبة من تاريخهم، ابتداء من عهد الملك فيصل الأول. وكان حسين مروة لا يزال في السنوات الأولى من مغادرته زيه الديني، وفي المرحلة الأولى من بداية رحلته الجديدة في عالم الأدب، تدريساً وكتابة.

كان يعمل مدرساً كمهنة يكسب منها رزقه. وكان يتنقل بين مدن العراق ومدارسها المتعددة، إلى أن استقر به المقام في الكاظمية، من حيث الإقامة، وفي بغداد في ممارسة التعليم في مدارسها. وكان يمارس، في الوقت عينه، الكتابة في الصحف اليومية، وفي المجلات الثقافية المتعددة أنواعها واتجاهاتها. وقد هيأت له سعة ثقافته في التراث وفي فنون الأدب الإمكانية لإقامة علاقات واسعة في عالم الثقافة الذي كان مزدهراً في تلك الفترة من تاريخ العراق.

وكانت اللقاءات التي تتم في منزله، وما أكثرها، وما أكثر تنوع المثقفين الذين كانوا يأتون لزيارة صديقهم حسين مروة، كانت تلك اللقاءات، بالنسبة إلى فتى مثلي في ربيع العمر، مناسبة رائعة لتكوين شخصيتي، ولإغناء معارفي في ميدان الثقافة. وكنت، منذ المرحلة المتوسطة من دراستي، قبل أن أذهب إلى العراق لمتابعة دراستي الثانوية في مدارسها برعاية حسين مروة، قد بدأت أقرأ الأدب، شعراً وقصة ورواية ونصوصاً مسرحية، بالعربية وبالفرنسية. كما كنت قد بدأت ممارسة هواية الكتابة الأدبية.

كان زوار حسين مروة، في معظمهم، من أصدقائه الأوائل في مدينة النجف، عندما كان رجل دين، ومن أصدقائه في المدن الأخرى التي كان يتنقل بين مدارسها لتعليم اللغة العربية وآدابها. وهي مدن الناصرية والحلة وسامراء، كما أذكر. وكان منزل مروة يفيض بأنواع المجلات الثقافية، العراقية بتعدد أنواعها، واللبنانية والمصرية كذلك. وكان من بين تلك المجلات واحدة استهوتني بنوع القصص التي كانت تنشر فيها.

وهي مجلة «الهاتف». ولم أكن أعرف، في البدء، أن صاحبها هو جعفر الخليلي، رغم أنني كنت مواظباً على قراءة مسلسل قصصه عن عالم الجن، أو في ما سماه فيما بعد «قرى الجن». وكانت تلك القصص مترابطة فيما بين أحداثها، كما لو أن كاتبها كان يروي وقائع حقيقية. وكان الخليلي، في سرد تلك القصص، مثيراً للدهشة. إذ كان يفرض على القارئ بذكاء متابعة القصص بشغف. وهكذا استمر اهتمامي بقراءة قصص الخليلي في مجلة «الهاتف» قبل أن ألتقي به في منزل حسين مروة. كما كنت أتابع ما كان ينشر في المجلة من مقالات تعالج شؤوناً أدبية وسياسية كانت تغريني بقراءتها.

هكذا تعرفت على جعفر الخليلي ومجلة «الهاتف»

ذات يوم زارنا جعفر الخليلي، بعد أن كنت قد تنبهت إلى أنه هو ذاته صاحب تلك القصص وصاحب المجلة التي أحببتها، وواظبت على قراءتها. وقد أدهشني في شخصية جعفر الخليلي ظرفه، الذي كان يحبب إليه من كانوا

يأنسون إلى مجالسته والسمر معه، والاستماع إلى أحاديثه والاستمتاع بها. وكان يتبادل مع حسين مروة النكات الأدبية والسياسية. وكان يشاركهما في العديد من اللقاءات أدباء عراقيون ولبنانيون، أذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر، كلاً من محمد شرارة وحسن الأمين اللبنانيين، وجعفر همدر العراقي ومحمد حسن الصوري اللبناني العراقي. وكانوا جميعهم أدباء معروفين. وكنا، نزار حسين مروة وأنا، نستمتع بأحاديثهم ونغني معارفنا بها. كما كنا نشاركهم متعة الظرف والنكات والضحك بأعلى الصوت ومن أعماق القلب.

تكررت زيارات جعفر الخليلي إلى منزل حسين مروة. وأدى ذلك إلى تعميق معرفتي بشخصيته. لكن عودتنا المفاجئة إلى لبنان، بعد الانتكاسة التي أصيبت بها انتفاضة الشعب العراقي، قطعت الصلة بيني وبين متابعة تعميق معرفتي بجعفر الخليلي. كما انقطعت علاقتي بمجلة «الهاتف». غير أن ما انحفر في ذاكرتي من تلك اللقاءات في منزل حسين مروة عن جعفر الخليلي ظل حاضراً بقوة. وليس سهلاً، كما تشير إلى ذلك تجربتي الشخصية، أن تمحى من الذاكرة الأشياء والأحداث والصور الجميلة في حياة البشر.

ذكرياتي مع (الهاتف)

تذكرت في هذه الأيام، وأنا أقرأ في موسوعة جعفر الخليلي المعروفة «هكذا عرفتهم»، تذكرت تلك اللقاءات التي جمعتني بهذا الأديب العراقي الموسوعي، وهي لقاءات لم تكن لتسمح لفتى بعمر الربيع مثلي أن يقيم علاقة صداقة مع ذلك الأديب. ولم يكن ذلك الأمر يشغلني. كان يكفيني من تلك اللقاءات أن أتعرف إلى أهل الثقافة، وإغناء معارفي ومداركي من خلال الاستماع إلى أحاديثهم، ومن خلال التعرف إلى سمات شخصياتهم.

استعدت ذكرياتي عن ذلك اللقاء مع جعفر الخليلي، واستعدت ذكرياتي عن مجلة «الهاتف» وعن قصص الجن التي لا تزال أحداثها محفورة في ذاكرتي، من دون تفاصيلها. ثم قادتني الذكريات، وأنا أقرأ بعض ما جاء من تعريفات لبعض الشخصيات العراقية في موسوعة الخليلي «هكذا عرفتهم»، قادتني إلى الغوص في عالم جعفر الخليلي، مستعيناً بما تيسر لي من معطيات عنه من هنا ومن هناك، في بعض المقالات المتفرقة، لاسيما ما ورد في الجزء الرابع من الموسوعة المشار إليها من معلومات عنه سجلها صديقه مشكور الاسدي.

وهي تشتمل على معلومات وافية عن سيرته وعن سيرة جده وسيرة والده وأشقائه. كما تشتمل على عدد من الطرائف التي تتصل بشخصية الخليلي، لاسيما روح النكتة عنده. غير أن ما لفت نظري فيما اطلعت عليه من سيرة الخليلي هو الأصول الدينية والأدبية والعلمية والوطنية لعائلته. فقد حفلت عائلته بالمرجعيات الدينية النجفية. كما حفلت بالشخصيات التي كان لها دور في النضال الوطني في مراحل قديمة وحديثة من تاريخ العراق، قبل الاستقلال وبعده.

ويقول الأسدي في عرضه لسيرة الخليلي أنه ورث عن أبيه مكتبة غنية بأنواع مختلفة من الكتب في ميادين الأدب والشعر والتاريخ والعلوم وفي كل ما يتصل بالمعارف الإنسانية. وقد تكونت شخصية الخليلي منذ بدايات عمره في البحث عن المعرفة في مكتبة والده وخارجها. لكن الأب، الذي كان مثقفاً، وكان ديمقراطياً في التعامل مع أولاده، قد أسهم في تربيتهم على حب المعرفة، وعلى الحرية في التعبير عن أفكارهم، وفي عدم التنازل عن هذه الحرية أياً كان الثمن، بما في ذلك في النقاش معه، وفي الاختلاف، وفي النقد. وكان يطلب منهم عدم الاكتفاء بما يرونه أمامهم من وقائع، أو ما يصل إليهم بالصدف من معلومات.

إذ هو كان يدفعهم إلى بذل الجهد في اكتساب المعارف، وفي العناية بتكوين السمات الأساسية لشخصياتهم. وكان الجد قد أنشأ مدرسة عصرية، كانت الأولى من نوعها في ذلك التاريخ. وأصدر فتوى تحث على جمع المال لتأمين حاجات المدرسة. وعمل على تأمين عدد من كبار الاختصاصيين في مجالات الأدب والعلوم لكي يمارسوا التدريس فيها.

النضال ضد الاحتلال

هكذا نشأ جعفر الخليلي في مناخ الحرية والمعرفة والثقافة، فضلاً عن المناخ الذي ساد في العائلة، مناخ النضال في مرحلة الاحتلال البريطاني للعراق، قبيل ثورة العشرين، وخلالها، وفي المرحلة التي أعقبت تلك الثورة. وأدت تلك التربية العائلية وسيرة الآباء والأجداد بالخليلي إلى أن يشارك، حتى وهو شاب، ثم في مرحلة النضج، في كل المعارك الوطنية بالقلم وبسواه التي شهدها العراق.

واتخذت مشاركته في الثورة صيغة مناشير تشبه صفحات الصحف، كانت تكتب فيها بخط اليد شعارات تحرض الناس على الاحتلال. وكانت توزع هذه المناشير في الأحياء. وكان يلصق بعضها على الجدران في الصحن الشريف. ولم يمض وقت حتى تحول الخليلي إلى صحافي يمارس الكتابة في العديد من الصحف. ولم يمض وقت حتى بدأ ينشئ الصحف والمجلات، إما بمفرده أو بمشاركة بعض أصدقائه، معتمداً على الذات، وعلى القليل من المال. وكان المال القليل يقوده إلى إقفال تلك الصحف من تلقاء ذاته. علماً بأن بعض تلك الصحف قد عوقبت من قبل السلطات، بسبب مواقف الخليلي، وأقفلتها.

كانت أول تجربة للخليلي في العمل الصحافي في جريدة «الفجر الصادق»، التي أسسها في عام ١٩٣٠، وعاشت سنة واحدة. وكان هو الذي أوقفها لعدم توفر الإمكانات المادية. وفي عام ١٩٣٤ أصدر مجلة «الراعي»، التي عاشت سنة واحدة، إذ أغلقتها السلطات، بسبب مواقف الخليلي المعارضة. غير أن مجلة «الهاتف»، التي كانت أهم إنجازاته الصحفية فقد صدرت في النجف أولاً في عام ١٩٣٥. ثم انتقل بها في عام ١٩٤١ إلى بغداد. وظلت تصدر من دون توقف التي أن أغلقتها السلطات في عام ١٩٥٤. وأهمية «الهاتف» إنما تكمن، إلى جانب دورها الثقافي العام، في أنها كانت حرباً على التقاليد البالية. وقد دفع الخليلي ثمن مواقفه في جرأته في محاربة التقاليد أثماناً باهظة، بما في ذلك في تعرضه للاعتداء الجسدي عليه.

ورغم أن الزمن قد طال وابتعد بي عن أحداث تلك الأيام، التي كانت مجلة «الهاتف»، مع عدد من المجلات الأخرى، أجزاء جميلة منها، فإنني لن أنسى دور هذه المجلة وأخواتها في تيسير المعرفة، لي ولأمثالي من أبناء جيلي، وفي تعميمها ثقافة الحرية، وثقافة التحديث في الحياة العامة، وفي التحرر من التقاليد البالية.

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplementscom

60 عاما على إنقلاب 8 شباط الأسود

رحلتي في معتقلات إنقلابيي شباط

نـصـيـر الـجـادرجـي

بناءاً على ماسمعته من السائق (حسين) والبيانات التي كنت أستمع اليها من الاذاعة نويت الذهاب الى منزل شقيقتي (أمينة) في الكرادة، لكن مع حلول المساء تم قطع أغلب الطرق، فقررت الذهاب بمفردي الى منطقة الصليخ حيث منزل ابنة خالتي السيدة (أسماء الكيلاني) زوجة السيد (منذر منير عباس).

ذهبت الى هناك بصحبة (حسين) السائق، مضطراً لأني كنت معروفاً بالحي الذي يسكنونه.
كان منـزل السيـد (منذر منـير عباس) مكتظاً بالزائرين الذيـن كانـوا يتابعـون أخبار الانقـلاب فيه عـبر المذياع والتلفزيـون ويتداولونها، الأمر الذي أدى الى معرفة أمر وجودي في بيتهم من قبل الكثيرين.
بقيـت في منزلهم قرابة يومـين، وكانت الاحداث تتسارع بشـكل مروع أشدهـا وطأة علينـا، كان مشهد عرض جثة الزعيـم (عبد الكـريم قاسم) على شاشـة التلفزيون وهي مغطاة بالدماء وأحد الجنود يبصق بوجهه بوضع يدعو الى الشجب والاستهجان من الكثير ممن شاهدوه.
خصصت لي عائلة السيد (منذر منير عباس) إحدى غرف المنـزل في الطابق الثاني كي أقيـم فيها، وفي ظهيرة يوم الحادي عشر من شباط/فبراير فوجئت بدخول السيدة (ليلـى سامي شوكـت) علي بشـكل مفاجـىء، وهي التي كانت تربطنـا بأسرتها صلة الصداقـة و(النسب) وكانت دائمـة الحضـور في منـزل السيـد منـذر لصلـة القرابة والجيرة بينهم.
كان الارتبـاك طاغيـاً علـى ملامحهـا وقـد بـدت يداهـا ترتجفان، وبنبرات خائفة قالت لي:
اسمع يانصير.. توجد الآن في باحة المنزل حوالي خمس سيـارات مُحملـة بعناصـر (الحـرس القومـي) يحملون أسلحتهم وهم الان يطوقون البيت من جميع جوانبه.
ثم استرسلت في كلامها قائلة:
أمـروا كل الموجودين في البيت بالخـروج منه وأبلغونا بأنهـم سيقتلـون كل مـن يتحـرك، حيث لديهـم معلومات تؤكد وجود (نصير الچادرچي) فيه.
ثم قالـت: أتوسل إليك أن تستسلـم.. لأنني رجوتهم لكي يسمحـوا لي بإبلاغك بتسليم نفسك بدلا من القاء القبض عليـك بأنفسهم... ثم كررت رجاءها بالنزول معها لتسليم نفسي إليهم.
رأيـت ألا فائدة مـن الهروب أو المقاومـة وفكرت بالاسرة التـي استضافتنـي فيمـا لـو تعرضـت لـلأذى بسببي.. وبخطـوات هادئة وقيافة كاملة نزلت السالم معها، لأرى عشرات المسلحين موجهين رشاشاتهم نحوي.
كان الخـوف قـد تجرد منـي أمام هـذا المشهد المـروّع. لم يكـن ذلك ضرباً من ضـروب الشجاعة بل يأساً من الحياة لتوقعـي بإطـلاق الرصاص علـي وموتي في الحـال أو ضياعي في معتقلاتهم ثم النهاية.
-قالـوا لي: اصعد معنا في السيـارة.. ودون أن أقول أي شـيء فتحت الباب وصعدت في السيارة التي طلبوا مني أن أستقلهـا، ولم تكـن قـد مضت ثانية حتـى فتحت بابها ووضعـت قدمي على الأرض من أجـل إعطاء (مسبحتي) الى ابنة خالتي (صاحبة المنزل) كي توصلها إلى زوجتي في إشـارة مني لهـم الى أنني ذاهـب دون رجعة، (لتبقى تلك المسبحة ذكرى لعائلتي، وقد احتفظت بها حتى يومنا هـذا وتذكرني دائماً بذلك اليوم الأسود المشؤوم الذي مر به العراق).

النادي الأولمبي

وصـل بـي موكب سيـارات (الحـرس القومـي) الى مقر النـادي الأولمبـي المطـل علـى ساحـة عنـترة في منطقـة (الأعظميـة)، حيـث رأيتـه مكتظـاً بعشـرات الرجـال المحتجزيـن فيه وكنـت أعرف بعضاً منهـم.. كان الوضع فيـه مأساوياً حيـث رأيت بأم عينـي في اللحظات الاولى لايداعي فيه عمليات الاعتداء بالضرب على المحتجزين.. وفي المسـاء كنـا نسمـع اصـوات الرصاص التـي تطلق لتنفيذ احكام الاعدام ببعض المعتقلين، دون أن نراهم.
في اليوم الثالث من اعتقـالي تعرضت للاعتداء بالضرب مـع مجموعة مـن المعتقلين في سطح النـادي، وكانت تلك المـرة الأولى التي يتم الاعتداء فيها علـي بالضرب إسوة ببقيـة المعتقلـين.. لم يكـن هناك تحقيـق يذكر بـل كانت الفوضى تعـم المكان، وسوق المحتجزيـن فيه للضرب او للقتل يتم وفق الأهواء.
كنـت قد أودعت في قاعة كبـيرة جلست فيها مع العشرات مـن المعتقلـين.. مضت علـى أيـام وقـد أدركـت الوضع واستوعبته لكن دون أن أتعرض لأي تحقيق أو مُساءلة.
كان مـن ضمـن مشاهداتـي هناك زيـارة (صديقـي) أحد عناصـر الانقلابيين (فيصـل حبيب الخيـزران) يصحبه السيد (زكي الخشالي) أيضاً.
تقـدم نحـوي الخيـزران وسلـم علـي وذهـب، أمـا زكي الخشـالي الـذي كانـت تربطنـي بـه صداقة قديمـة جدا توطـدت أواصرهـا أكـثر أيـام وجـودي وإيـاه في كلية واحدة فحـال مشاهدته لي أخبرني بعزمه الذهاب لمنزلنا وجلـب حاجاتي منـه طالباً منـي إخباره بمـا أحتاج من هناك.
شكرتـه وأخبرتـه بما أحتاج، ثـم سرعان ما عـاد بعد أن عـرف بأنـني قد تعرضـت للضرب في المعتقـل وأخبرني بأنه احتج على ذلك الأمر وهو صادق فيما يقول.
أيقنـت مـن خـلال سلوكه معي بهـذا الوضع الحـرج بأن الرجل يحمـل بداخله لي جميلاً (ليس بالقديم) حين كنت أزوره بصـورة مستمـرة أيـام وجوده معتقـلاً بمعسكر الخيالـة في منطقـة الكسرة، جـراء اتهامـه بتأييد حركة الشـواف، حيـث كان الضابط المسؤول عـن ذلك المعسكر (قاسـم عبـد) صديقي، وكان مـن ضباط الحـرس الملكي السابق.

وبعـد يومين وحينما كنت جالساً في إحدى زوايا المعتقل (النـادي) رأيـت السيـد (هاشم قدوري) «حيـث كانت لي علاقـة جيدة معه» وكان معروفا حينهـا بقسوته الشديدة علـى المعتقلين وعـدم إتـزان تصرفاتـه،.. كصديق قديم تربطنـي به معرفـة سابقة وقفت لأسلـم عليه وصافحته، كان حينها يرتدي ملابـس الحـرس القومي، لكنه فاجأني قائـلاً أثنـاء مصافحتـي له: لمـاذا لم يأتـوا بهديب الحاج حمود معك؟!.
لم أجبـه في الحال، لكني نظرت إليه بإستهزاء ثم قلت له: اذهـب أنت واجلبه معـك. ثم استدرت وعـدت الى مكاني جالسـا في الزاويـة.. وبقـي للحظـات واقفـاً ينظـر الي بخجل وذهب..
بعـد مضـي عدة أعوام علـى ذلك الموقف صـادف أن زرت مدينة الحلة لمراجعـة بلديتها لمسألة معينة واذا بالمحافظ (هاشـم قـدوري) يلمحنـي ثـم نـادى علـي بصـوت عال (أخي العزيز نصير) وأخـذني بالأحضان، وقال: سمعتُ بوجـودك هنـا وبعثت من يفتشـ عنك، تفضـل معي الى الغـداء ولن ادعـك تذهـب الى بغـداد دون أن تأتي معي. لكني رفضت بإصرار عن تلبية الدعوة وذهبت.
بعـد ذلـك تم نقلـي الى مديريـة الامـن العامـة في منطقة (السعـدون)، حيث قضيت فيها عـدة ساعات محتجزا في غرفة صغيرة طولها حوالي (٧ أمتار) وقد اودع بها قرابة الثمانين شخصاً كانوا جميعاً واقفين لصعوبة الجلوس، وفي الليـل تم نقلي مع مجموعة الى معسكر (أبو غريب) والـذي كان إحـدى الثكنـات العسكرية حيـث كان أطول محطاتي في الاحتجاز، ومكثت فيه أكثر من شهرين.
كان المحتجز يضم العديـد من الشخصيات المعروفة، ولم أكن قـد تعرضت للتحقيـق فيه مطلقاً، فقـط قضيت فترة احتجـاز (غير معلومة الأسبـاب)، كان حاكم التحقيق في المعتقل، السيد (شامل الشيخلي) الذي كان حاكماً بالمعنى الحقيقـي ذا شخصيـة محترمـة مـن جانـب المحامـين، وأرسـل خـبراً الى اسرتـي بوجـودي في ذلـك المعتقـل، وبلغت باستدعائي مع خالد عيسى طه لاجراء التحقيق.
كان مقـر التحقيـق عبارة عـن (خيمة). وجدنـاه يجلس وسطها وقـد بدا في غاية اللطف. أخبرنـا بأنه لن يجري معنـا أي تحقيـق بـل كان استدعاؤنـا ذريعـة منـه للقاء أسرنا.
طلبـت منـه أن يستغـل وجـوده في هذه الخيمـة لاجراء التحقيق معنا، لكنه اعتذر عن ذلك (فتوقعت بأنه لن يبقى في هذا المكان)، وفي تلك الأثناء دخلت والدتي علي، فكان ذلـك لقائـي الأول بها منـذ قرابة الشهر، وقـد دخلت معها أيضاً زوجة السيد (خالد عيسى طه).
بعـد ذلـك تم إيداعي في (قاعـة الأطباء) داخـل المعسكر، وكانـت صغيرة المساحة ولم تكـن محصورة بالاطباء بل أن اسمهـا كان هكـذا مَجازياً وغير رسمـي.. وقد وجدت فيها المحامين والاطباء والمدراء العامين.
في معتقل ابو غريب كانت تتم عمليات تعذيب وتجاوزات كثـيرة بشكل عشوائي على المعتقلـين، لكنها لم تطالني.. فيمـا كان يصلنـا مـن أسرنـا بعض الطعـام والملابـس الضرورية.
خـلال شهري وجودي هنـاك كان الجوع قد بـدا واضحاً علـى المعتقلين، جراء سـوء الغذاء المقدم لنـا من المقاول، مـا أدى الى حـدوث مشـاكل في الهضـم وحـالات اسهال طالـت بعض المعتقلـين، إذ تم منع إيصـال الطعام لنا من أهالينا في فترة معينة.. وقد اكتفيت حينها بتناول بيضة مسلوقة واحـدة و(صمونة) كنت أتناولها صباحاً لتكون مؤونتي الغذائية طيلة يوم كامل.
في أحد الأيـام أبلغني الحرس بوصول قـدر من الـ(كبّة) أوصلتـه ابنـة خالتـي السيـدة (أسمـاء الكيـلاني) إلي بصعوبة كبيرة.
لكنهـا للاسـف وصلتنـي (فاسـدة) كونهـم قـد أودعوها عندهـم لمـدة يومـين دون حفظ.. عنـد إدخالهـا لي رأيت أنظـار المعتقلين تتجه صـوب القدر ومافيـه رغم انبعاث الرائحـة الكريهـة منه فسارعـت برميه في سلـة القمامة، فأستنكروا ماقمت به لكنني أقنعتهم بخطورة تناوله.
مـن أشد الأيـام إحراجاً تلـك التي تجود بهـا الذاكرة عن أيـام وجودي في معتقل انقلابيـي شباط ١٩٦٣، تحديداً في معتقلـي (أبو غريـب والمثقفين) والتـي بقيت ذكراها الأليمـة راسخة في الوجدان، لألخصهـا الان بإيجاز عبر نقـاط أروي من خلالها للأجـيال القادمة قصـة انتهاكات خطـيرة بحقـوق الانسـان العراقي وكرامتـه طالت نخباً عديدة من أبناء شعبنا العراقي وكنت شاهداً عليها.
كان معنـا استـاذ القانـون الدستـوري في كليـة الحقوق سابقـاً الدكتور (عبد الله اسماعيل البستاني) الذي يمتاز بقامـة ممشوقة، وذات يوم سأله السجـان السؤال نفسه فطلـب منـه مرافقتـه.. كان معـه بالقاعـة نفسهـا صديقه المحامي (عبد الرزاق المسعودي) فظن أن السجان قد اخذ صاحبه لاكرامه بنقله إلى مكان افضل (يليق بمكانته)!!!، وببراءة وطيبة قلب نـادى على السجان مخبرا إياه بأنه رفيقـه، طالبا منه مرافقتـه لمكانه الجديـد.. فأستدار اليه وقال: تفضل معنا أنت أيضاً.
ثم عادا محلوقي الرأس.الامر ذاته تكرر مع المحامي خالد عيسى طه.. وغيره من الشخصيات.

عن: مذكرات نصير الچادرچي، دار المدى.

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplementscom

حقائق من أيام حصار الكوت 1916

الجيش البريطاني المحاصر وأهل الكوت

د. ستار جبار الجابري

ذاكرة

بعد ان ثبت ان الجيش البريطاني اصبح محاصرا في الكوت من قبل القوات التركية، أمر الجنرال طونزند بمصادرة جميع المواد الغذائية في الكوت، بيد أن الحاكم العسكري وجد أن ابتياع هذه المواد من السكان أمرا مناسبا، لذلك لجأ إلى هذه الوسيلة(٣٢)، وقد امتنع طونزند حتى ذلك الوقت عن تفتيش دور أبناء الكوت بحثا عن الطعام، إذ ذكر « إن السكان العرب في الكوت يبلغ عددهم ستة آلاف نسمة، وهم معادون بلا ريب... مما يشكل خطرا حقيقيا... وإنني لا أريد البحث عن الطعام إلى أن أضطر إلى ذلك... وقد علمت بأن هناك طعاما كثيرا في المدينة، ولكن ليس كثيرا جدا كما تبين لنا».

وكان لدى الجنرال طونزند في اليوم الحادي والعشرين من كانون الثاني من الطعام ما يكفي الجنود البريطانيين والهنود أربعة عشر يوما فقط، ولما شعر بأن أمد الحصار سيطول صمم على مصادرة جميع المواد الغذائية الموجودة في الكوت. ففتش جميع المنازل منزلا منزلا، وأعطى مكافأة لكل من ينبئه بمخابئ الحبوب المواد الغذائية، ذلك أن الأغنياء من أبناء الكوت حاولوا إخفاء الطعام الموجود عندهم، فوجد كميات كبيرة من الحبوب. وعلى الرغم من عمليات المصادرة هذه للطعام، إلا أن البريطانيين كانوا يشكون بأن العراقيين لا زالوا يحتفظون ببعض الطعام، فلاحظوا على أبناء الكوت أن « قلة منهم ظهرت عليه إمارات الهزال من مسبغة وحتى النهاية، وكان الأطفال يتراؤون على حظ من سمنة، ولم يظهر عليهم أنهم يشكون من قلة الطعام».

وبينما كان الجنرال طونزند يعمل على تصنيع جسرين بسرية تامة لكي يعبر بهما إلى الجهة المقابلة بغية مساعدة قوات الجنرال أيلمر التي وصلت لنجدته والالتحاق به، هرب ثلاثة من العراقيين ليلة الرابع والخامس من آذار ١٩١٦م، وقطعوا نهر دجلة سباحة، واخبروا العثمانيين بأمر الجسرين، فاحتلت القوات العثمانية صباح اليوم الخامس من آذار خنادق جديدة على الضفة اليمنى قبالة بلدة الكوت، وهو الموقع التي كان الجنرال طونزند ينوي نصب الجسور بها وأفشلوا مساعيه، لذلك كان طونزند يعاني من أن جميع معلومات معسكره مكشوفة أمام العثمانيين، وكانت شكواه المستمرة بأن جميع المعلومات الخاصة بالمعسكر البريطاني معروفة تماما لعدوه بسبب أبناء الكوت.

أرسل الجنرال طونزند في اليوم العاشر من آذار ١٩١٦م تقريرا عن دفاع الكوت، تحدث فيه لأول مرة عن الانسحاب من الكوت، والكيفية التي يتم بها، وهل يكون عن طريق الاستسلام لقوات خليل باشا، أم باختراق قواته للتحصينات العثمانية بالقوة. واستبعد الاحتمال الثاني لأسباب عديدة، منها قوله إننا « كوننا في العراق، وهي بلاد عربية، وكل رجل من سكانها قائم علينا، وكل بندقية فيها مصوبة نحونا، فلو تمكنت من الخروج بثلاثمائة رجل لخدمني الحظ جل خدمة».

ولما اشتدت قسوة الحصار، أمر الجنرال طونزند الحاكم العسكري بأن يطلب من السكان أن يبيعوا له (١٤٣٠) منذا من الشعير، إذ كان يعتقد بأن السكان قد أخفوا الشعير عنه، وتوعدهم بقوله « إذا لم يقدموا الشعير المطلوب منهم فتشت البيوت، وعاقبت الشخص الذي نعثر على الحبوب عنده عقوبة صارمة جدا».

وذكر طونزند « لولا العثور على الحبوب في البلدة لسلمنا للعدو في شهر شباط، لأنني لما دخلت الكوت كانت أرزاقنا تكفي القطعات البريطانية شهرا والجنود البريطانية ٥٥ يوما».

وكان أبناء الكوت لا يأخذون النقود الورقية، حتى أنهم كانوا يصرفون روبية لقاء ورقة العشر روبيات، لأنهم كانوا يعتقدون بانتصار العثمانيين، فكانوا يضمرون العداء للبريطانيين، لذلك ذكر طونزند « لا أستطيع جلد ٦٠٠٠ شخص لامتناعهم عن أخذ النقود الورقية، وجل ما استطيع عمله لتأديبهم أن أعدم شخصا منهم في بعض الأحايين ممن يرتكبون جرم التجسس فأجعله عبرة لغيره».

كما اشتكى من عدم استطاعته دفع ثمن ما يشتريه إيصالات يدفعها للبائع، كما كان الحال في جنوب أفريقيا، لذلك طلب من قيادته إرسال الأموال إليه وهو محاصر في الكوت عن طريق الطائرات.

وبالفعل ألقيت عن طريق الطائرات سبعة أكياس مملوءة بالروبيات على حامية الكوت، بيد أنها أثارت الحنق الشديد لدى طونزند الذي كان يصرخ « يجب أن يلقى الطعام قبل كل شيء»، في إشارة منه إلى أن الطعام أهم من الأموال لاسيما في الأيام الأخيرة من الحصار.

تلقى الجنرال طونزند في العاشر من نيسان ١٩١٦م برقية من المقر العام للحملة البريطانية تشير إلى أنها لن تستطيع إنقاذه قبل اليوم الخامس عشر من نيسان، وأن عليه أن يسعى في إطالة أمد الحصار، واقترحت عليه إخراج جميع السكان العراقيين من الكوت، ما عدا بضعة أشخاص ممن يمكن الإفادة منهم لتحقيق غاية إطالة أمد الحصار، واستفسر منه المقر العام إلى أي وقت يمكن أن يدوم الحصار في حالة خروج السكان من البلدة، وكيفية إخراجهم. كما اعتقد المقر العام أنه إذا ما فتش البيوت مرة أخرى بيتا بيتا فإنه قد يحصل على بعض المواد الغذائية، فأجاب على هذه البرقية في اليوم التالي بأن مسألة إخراج السكان من الكوت صحيحة من الناحية النظرية، ولكنها مستحيلة من الناحية العملية، فضلا عن ذلك فقد أخبر المقر العام بأن العثمانيين يطلقون النار على كل عراقي يقع نظرهم عليه وهو يحاول الخروج من الكوت، وكان رجال المهيلات عندما يفرون سباحة ليلا تصليهم الربيئات العثمانية نارا حامية من الضفة اليمنى، وقال: «قبل بضع ليال رجع شخص من سكان الكوت الذين نجوا من الترك، فروى أن الترك قبضوا على الجماعة التي كان فيها عند نزولها إلى البر على الضفة اليمنى، فحاكم الترك أفراد تلك الجماعة، وأعدموهم على الفور رميا بالرصاص، أما هو فتمكن وحده من النجاة».

فضلا عن ذلك فقد أشار إلى أن النساء والأطفال لا يمكنهم عبور الفيضان من الجانب البري بين خنادق البريطانيين والعثمانيين، لأن تلك الخنادق وطرق المواصلات مغمورة بمياه الفيضان، أما عن الخط النهري فقال: «إذا وضعت سكان البلدة في المهيلات التي عندي ويبلغ عددها الثلاثين، بحيث أضع في مهيلة مائة أو مائتي شخص، أطلق الترك النار على هذه المهيلات، فيذبح أولئك العرب ذبحا هائلا، ويردد صدى الفاجعة في قاصي العراق ودانيه، ويقول العرب هذه هي حماية البريطانيين للعرب الذين أصبحوا تحت حكمهم، ويكون لهذه الحادثة تأثير سياسي سيء جدا».

وأخبر طونزند المقر العام إنه استخرج من البلدة أثناء الحصار (٩٠٠) طن شعير، و(١٥٠) طن قمح، و(١٦٠٠) طن سمن، وقال لولا هذه المواد لسقطت الكوت منذ مدة طويلة.

اتصل الجنرال طونزند بعد فشل جميع المحاولات البريطانية لفك الحصار وانهيار جيشه جوعا بخليل باشا في اليوم الخامس والعشرين من نيسان ١٩١٦م، وتم الاتفاق على استسلام البريطانيين دون قيد أو شرط، الأمر الذي تم في التاسع والعشرين من الشهر نفسه، بعد أن دمر المدافع وجميع الأسلحة والمواد الأخرى والعتاد ومعدات التلغراف اللاسلكي وغيرها والتي كانت بحوزته، فدخل فوج تركي إلى بلدة الكوت وتولى حراستها.

وكانت القوة المستسلمة مؤلفة من ٢٧٧ ضابط بريطاني، و٢٠٤ ضابط هندي، و٢٥٩٢ جندي بريطاني، و٦٩٨٨ جندي هندي، و٣٢٤٨ من الأتباع الهنود (غير المحاربين)، وبذلك بلغ المجموع ١٣٣٠٩ شخصا، وكان قد قتل أثناء الحصار ١٠٢٥ شخصا من المحاصرين متأثرين بجراحهم، ومات ٧٢١ شخصا نتيجة المرض، وجرح ٢٥٠٠ شخصا، وفقد ٧٢ شخصا، وكان في المستشفى ١٤٥٠ شخصا من الجرحى.

وبعد أن دخل الأتراك إلى الكوت عذبوا الكثير من أبناء المدينة، وضربوهم ضربا مبرحا، بحجة وقوفهم إلى جانب البريطانيين، كما أعدموا المترجم اليهودي ساسون شنقا، فضلا عن إعدام بعض المواطنين العراقيين المسلمين.

عن بحث: معركة حصار الكوت وأثر المقاومة العراقية ١٩١٥-١٩١٦م.مجلة كلية التربية في جامعة بابل. ٢٠٠٨.

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplementscom

60 عاما على إنقلاب 8 شباط الأسود

إستجلاء موقف الحاكم العسكري أحمد صالح العبدي في إنقلاب شباط 1963

محسن حسن البديري

في صباح ٨ شباط ١٩٦٣ قاد البعثيون انقلاباً عسكرياً ضد الزعيم عبد الكريم قاسم . لإنهاء حكمه والسيطرة على مقاليد السلطة في العراق. كان الزعيم أحمد صالح العبدي قد سمع بالانقلاب في الصباح الباكر من ذلك اليوم. وهو في بيته سرعان ما ارتدى ملابسه العسكرية وتوجه على الفور إلى وزارة الدفاع. وعند وصوله توجه إلى دائرة الانضباط العسكري حيث التقى بالزعيم عبد الكريم قاسم هناك مع بعض الضباط المقربين منه وتدارسا الوضع الراهن وكيفية مواجهة هذا الموقف، وقرروا التحصن بوزارة الدفاع ومقاومة الانقلابيين. ورغم المقاومة الشديدة التي أبدوها، إلا أن الرمي والقصف المتكرر على وزارة الدفاع اضطر الزعيم عبد الكريم قاسم ومن معه إلى الانتقال إلى قاعة الشعب المجاورة لوزارة الدفاع للتحصين بها. وهنا لم يستطع الزعيم أحمد صالح العبدي مرافقة الزعيم عبد الكريم قاسم إلى قاعة الشعب مع مجموعة الضباط الذين التحقوا معه. وهناك أكثر من رواية تفسر هذا الموقف. فيذكر آمر حماية أحمد صالح العبدي النقيب خالد عبد الجبار الخياط، إن الزعيم عبد الكريم قاسم تحدث إلى أحمد صالح العبدي وقال ما نصه ((أبو سعد، والمقصود هو أحمد صالح العبدي إن القوم يطلبوني أنا، وأنت في حل من اليمين الذي بيني وبينك فأرجع ولا تذهب معي)) أي إن الزعيم عبد الكريم قاسم لم يسمح له بمرافقته إلى قاعة الشعب وهو يعلم تماماً مدى حب أحمد صالح العبدي واخلاصه له وكانت هذه الممانعة من الزعيم عبد الكريم قاسم هي خوفاً عليه وحرصاً على سلامته لأنه اعتقد أن الانقلابيين يطلبونه هو، ولتجنيب الأذى عن أحمد الصالح العبدي أمره بعدم مرافقته وذكره بأنه في حلٍ من اليمين الذي بينهما.

وهناك رواية أخرى مفادها أن الزعيم عبد الكريم قاسم لم يسمح لأحمد صالح العبدي بمرافقته من دون بقية الضباط الذين توجهوا معه إلى قاعة الشعب لأنه كان عليهم تسلق الجدار الفاصل بين وزارة الدفاع وبالتحديد بين دائرة الانضباط العسكري وقاعة الشعب. وهو عالي الارتفاع وبما أن أحمد صالح العبدي كان بديناً بشكل كبير. لم يستطع تسلق هذا الجدار فحينها كلمه الزعيم عبد الكريم قاسم وطلب منه عدم مرافقته. و ودعه بعد أن أثنى على إخلاصه وتفانيه معه.

ويبدو من خلال هاتين الروايتين أن كليهما على صواب إذ أن الزعيم عبد الكريم قاسم كان محباً لأحمد صالح العبدي وهو يعلم يقيناً مدى إخلاصه له باعتباره قائداً عسكرياً مهنياً ورجلاً وطنياً، فأراد له أن لا يربط مصيره معه وهو يعرف جيداً أخلاق الانقلابيين وما يضمرونه له شخصياً. ومن ناحية ثانية فإنّ زيادة وزن أحمد صالح العبدي كان عائقاً أمامه من تسلق وعبور هذا الجدار لذا لا يمكن الشك بأنّ أحمد صالح العبدي بموقفه هذا قد تخاذل، أو نقصته الشجاعة لمرافقة الزعيم عبد الكريم قاسم لأنه كان من أوائل الضباط الذين التحقوا بمبنى وزارة الدفاع حال سماع نبأ الانقلاب في صباح يوم ٨ شباط ١٩٦٣.

وفي المساء اتجه أحمد صالح العبدي إلى شاطئ نهر دجلة وسلم نفسه إلى القوات التي كانت تطوق وزارة الدفاع من الجهة الشمالية الغربية. حيث اعتُقِل وأحيلَ على التقاعد في ٨ شباط ١٩٦٣ . وفي يوم ٩ شباط

١٩٦٣ أودع في معتقل رقم واحد في معسكر الرشيد حيث أوقف لمدة عشرة أشهر وفي مساء ذلك اليوم قام علي صالح السعدي مع مجموعة من أعضاء القيادة القطرية في حزب البعث بزيارة المعتقل. ويذكر خالد عبد الجبار الخياط، ذكر لي أحمد صالح العبدي ((أنه عندما كان في غرفة التحقيق وجه له علي صالح السعدي سؤال لماذا لم تقبل أن تصبح مسؤولاً كبيراً في الجمهورية وتساعدنا في الإنقلاب ضد عبد الكريم قاسم بعد محاولة الاغتيال التي نُفِذَت؟ وأنت كنت الكل بالكل !!!. فأجاب أحمد صالح العبدي لم أفعلها ولن أفعلها لاعتبارات أخلاقية ومهنية. أما الاعتبارات الأخلاقية لأن الزعيم عبد الكريم قاسم كان صديق عمري وإبن دورتي وحلف يمين، وزاد وملح بيني وبينه. أما الاعتبارات المهنية فأنا كنت رئيس أركان الجيش وواجبي هو حماية البلد والنظام وإذا قمت بالانقلاب سوف تكون سابقة لكل من يشغل هذا المنصب مستقبلاً بقلب نظام الحكم لأن الجيش بيده وهذه سابقة خطيرة على استقرار العراق. ثم قال لهم ((أريد أن أسأل لماذا لم يفعلها آمر فوج الحماية، على المستشفى الذي كان يعالج به الزعيم عبد الكريم قاسم ألم يكن آمر فوج الحماية منكم؟ يقول: فسكتوا ثم أجابه علي صالح السعدي أنك موضع احترام سابق وقد ازداد ذلك الاحترام لصراحتك ونزاهتك)).

على الرغم من موقفه هذا فقد عومل باحترام وتقدير في داخل المعتقل حتى أنّ علاجه من الأدوية كانت تصل إليه باستمرار وانتظام. حيث حظي بتقدير عال كضابط مهني وشخصية وطنية. ولهذا فهو من قلائل الضباط والمسؤولين الذين لم يحالوا إلى المحاكمة. وإنما اكتفوا بالتحقيق معهم فقط. إن هذا الموقف يدلل على أنّ احمد صالح العبدي كان رجلاً شجاعاً ومبدئياً لم يتخل وهو في أحلك الظروف عن إبداء رأيه بكل صراحة ودون خوف وظل مخلصاً للزعيم عبد الكريم قاسم ولم يتنصل عن علاقته الحميمة التي تربطه به، وهو تحت رحمة الانقلابيين البعثيين. بل إنه حاججهم وذكر لهم إنه كان حريصاً على حماية البلد بحكم منصبه رئيساً لأركان الجيش وكان لا يريد إقحام من يشغل هذا المنصب في الأمور السياسية.

أطلق سراح أحمد صالح العبدي من السجن في العاشر من كانون الأول عام ١٩٦٣. بعد أن قضى عشرة أشهر وحال خروجه مباشرة انتقل مع عائلته إلى منطقة المسبح في حي الكرادة في بغداد. بعد أن استأجر داراً للسكن فيها. حيث أخلى منزله في معسكر الرشيد حينما كان يشغل منصب رئيس أركان الجيش لأنه لم يكن يمتلك داراً في حياته، وهذا مؤشر واضح على نزاهة هذا الرجل على الرغم من أنّ بإمكانه امتلاك الكثير من العقارات بحكم نفوذه ومنصبه.

فرضت الإقامة الجبرية على أحمد صالح العبدي ووضع تحت المراقبة لمدة ثلاثة أشهر. ويذكر وزير التعليم في حكومة الزعيم عبد الكريم قاسم محيي الدين عبد الحميد قائلاً ((بينما كان القتال لا يزال محتدماً بين البعثيين وقوات قاسم اعتقل كبار وزراء قاسم وسجنوا في معسكر الرشيد بانتظار محاكمتهم. وأظهر التحقيق الأبتدائي أن هؤلاء لم يرتكبوا مخالفات شخصية على الرغم من أن الممتلكات الشخصية لبعض الوزراء وبينهم محمد حديد وزير المالية قد صودرت. غير أنّ جميع الوزراء وكبار الموظفين أفرج عنهم فيما بعد. وبقي بعضهم وعلى الأخص المقربين إلى قاسم معتقلين مدداً تراوحت بين ٣ أشهر وسنة... ووضع هؤلاء الوزراء حتى بعد الإفراج عنهم تحت رقابة الشرطة مدة تراوحت بين ٣-٥ أشهر))، وبعد أن تأكدوا بأن ليس لديه اتصالات أو أي نشاط سياسي رفعت عنه الإقامة الجبرية.

من تجاربي في تحقيق المذكرات الشخصية

كيف تم العثور على مذكرات الدكتور صائب شوكة؟

د.عماد عبدالسلام رؤوف

ذاكرة

على الرغم من صداقتي للفنان النحات خالد الرحال، التي بدأت في أخر السبعينات إلا أني لم يخطر ببالي أن أسأله عما إذا كان يحتفظ بمذكرات كتبها، أو وثائق يحتفظ بهاء حتى إذا ما توفي رحمه الله (سنة ١٩٨٦) سألت ولده محمد، وهو صديق لولدي رؤوفء السؤال نفسه، فأخبرني أن لأبيه مذكرات شخصية كتبها بالإيطالية في أثناء سنوات دراسته في روما، والمهم أنه يحتفظ بمذكرات كتبها جده مهدي بن صالح الرحال في أثناء مشاركته ضمن الجيش العثماني» في الحرب العالمية الأولى»، فطلبت منه أن أطلع عليها، فلبى طلبي مشكورا، وإذا بالمذكرات قد كتبت في دفتر كبير» شاغلة منه عددا من الاوراق» وحينما شرعت بقراءتها أدركت أني أمام مذكرات فريدة لضابط عراقي شجاع شارك في جبهات السويس وأدرنه وغزة ثم منطقة (جناق قلعة) في (كاليبولي) ثم في الجبهة الأوربية. » وأنه بعد اعلان الهدنة» انسحب إلى استانبول فحلب وشارك في جيش الثورة العربية المسمى (الجيش العربي السوري»،» وارسل في مهمة خاصة إلى بغداد» ثم مشاركته في تأسيس الجيش العراقي سنة ١٩٢١.

والمذكرات؛ على قلة أوراقها إلا أنها تحتوى على أسرار لم تعرف. وشهادة لم تدون. فصورت منها نسخة ظلت عندي، ثم أنني حققتها، ونشرتها في مجلة (ميزوو) التى تصدر عن جمعية المؤرخين في كردستان (العدد ١٥..)

مذكرات الدكتور صائب شوكة

اتصل بي ذات يوم صديق كريم من أهل الكاظمية وأخبرني أنه حصل على مذكرات الدكتور صائب شوكتء طبيب الملك فيصل الأول»وأقرب أصدقائه إليه» واقترح علي أن اقصده للإطلاع عليها، شكرته وذهبت اليه فورا حيث أطلعني على نحو عشرين ورقة خفيفة من أوراق الرسائل الأزرق اللون» قد كتب عليها بقلم حبر» سطرا بعد سطر، وقرأت بعض الصفحات فتأكد لي انها لصائب شوكت فعلا، فأسلوبه أعرفه. وكذلك املاؤه، فهوضعيف وكثير الهفوات. وفيه تأثر شديد باللغة التركية التي كان يتقنها. وسألت

الصديق الكاظمي كيف حصل عليها؟ فأخبرني انه اشترى (مزهريتين) من بائع انتيكات» وحينما أخذها إلى البيت وتفحصها رأى في إحداها لفافة من هذه الأوراق» وعرف انها للدكتور المذكور، وأن بائعها لم يرها عندما باعها إليه. وإلا لزاد في ثمن ما باعه.

صورت المذكرات على الفور، وعدت لأقرأها بتمعن. ولاحظت أنها تكشف أسرارا خطيرة، منها شكه الصريح بالأسباب التي أعلنت في حينه عن وفاة الملك فيصلء فقد ذكر ان الملك لم يكن يشكو من آلام تستحق تسفيره إلى خارج العراق، وأنه يقرر ذلك بصفته طبيبه الخاص وأنه حينما ذهب لرؤية الملك كالعادة، منع من الدخول اليه بحجة ان الملك لا يريد رؤيته. وان الذي منعه هو الطبيب السوري أمين رويحة، وأن وفاته المفاجئة لم تكن مبررة طبيا. ثم أنه عرّج على وفاة الملك غازي، وقرر أنها كانت اغتيالا مدبرا وأن اثنين من صائدي الفراشات الانكليز كانا موجودين في مكان ارتطام سيارة الملك بالعمود الذي اودى بحياته قبل الحادثة بيوم واحد، فإن العمود كان جديدا نظيفا إذا ما قورن بسائر الأعمدة على الطريق الذي سلكه. وأسراراً أخرى من هذا النحو وكنت مزمعا نشرها فأخبرت برغبتي الصديق المحامي علي السويدي محامي العائلة المالكة في العراق عنها وكان في زيارة الى بغداد بوصفه كان صديقا لصائب شوكت. ولما أريته إياها أكد أنها لشوكت على وجه اليقين، وانه مستعد ليكتب مصادقته على هذه الشهادة.

وبلغ نبأ عثوري على المذكرات زوجة صائب شوكت، فما كان منها إلا أن انكرتها بالكلية، مع أنها لم ترها أصلا، ثم علمت من المحامي السويدي أنها إنما فعلت ذلك لخشيتها من أن تكون هذه المذكرات تضم أمورا شخصية تخص حياتهما المنزلية، فلما تأكد لها ان المذكرات سياسية بحتة ولا علاقة لما بما ظنت، عادت فاعترفت بأنها بخطه وأنها مذكراته فعلا. ومع أني لم أنشر هذه المذكرات؛ لكنى كنت أضرب بها مثلا لطلابي في مادة (الوثائق) خلال مرحلة الماجستير، فأقول ان على الباحث أن لا يصدق دائما القول (الاعتراف سيد الأدلة) لأنه يجوز ان ينكر شاهد شهادته اذا ما تصور انها تسيء اليه. أما كيف وصلت (لمزهرية) الى بائع الانتيكات؟ فقد علمت أن أحدا من الأسرة باع بعض تحف البيت الى ذلك البائع دون ان يلحظ حقيقة ما باعه.

وما له تعلق بهذا، أن جرس الهاتف الأرضي رن في داري منتصف ليل أحد ايام ٢٠٠٦، ولما رفعت السماعة جاء صوت الدكتور حسين امين فاستغربت أن يتصل بي في ذلك الليل البهيم، وقبل أن اسأله عن جلية الأمر بادر هو فأخبرني أنه فرغ على التو من كتابة مذكراته، وقد أودع فيها خلاصة تجربته في الحياة. وأعلمني أنه اخبر أسرته بأنه يوصي بهذه المذكرات الي! وأن لي قرار نشرها من عدمه، وعلى وفق الطريقة التي أراها، بل انه كتب تلك الوصية كتابة وأعلم بها أهله، تملكتني في تلك اللحظة رعدة. واحتبست دمعة كبيرة في عيني، فلقد أحسست أن الرجل منحنى عصارة خبرته في الحياة كلها، وأدركت مقدار ثقته بي ومرت السنون، ثم شاءت الأقدار أن نلتقي في السليمانية بعد سنوات، حيث كنا أعضاء في لجنة مناقشة أحد الطلبة لنيل شهادة الدكتوراه. فأكد لي ما أوصى به وشكرته. وفوجئت في مساء يوم ٤ أيار سنة ٢٠١٣ بأحد الصحفيين يتصل بي هاتفيا، ينعى لي الدكتور أمين طالباً مني ان أؤبنه في كلمة لتذاع في الراديو، فهاجت عبراتي؛ وأمليت عليه- على الفور- كلمة تضمنت كل ما اختزنته في وجداني من مشاعر، ثم اتصل بي بعض الأصدقاء يسألني عن خبر المذكرات ومتى ستظهر للقراء،فأخبرته بوصية المرحوم؛ واني انتظر من أسرته أن ترسل بها الي لأتولى العناية بها ونشرها،واتصلت فعلا بالسيدة زوجته؛ أذكرها بأمر الوصية فأخبرتني أنها تعمل الان على ترتيب مكتبته، ثم أخبرتني بإنها وجدت المذكرات، وأنها ستقرأها او لا قبل ان ترسل بهاء وكررت طلبي فتكرر اعتذارها بأسباب مختلفة ثم احترمت رغبتها في عدم نشرها. ولم أعد أتصل بها، ولم أدر ما فعل الله تعالى بتلك المذكرات التى أتوقع أن تكون مهمة فعلا في رصد حياة مؤرخ واسع التجربة، وشهادته على عصر امتد على اكثر من سبعة عقود عددا.

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023
www.almadasupplementscom

قبل ٧٠ عاما

إستقالة وزارة نور الدين محمود في 29 كانون الثاني 1953

فاطمة عدنان شهاب الدين

بعد ان انهى نور الدين محمود مهمته التي كلفها بها الوصي وهي انهاء انتفاضة تشرين الثاني ١٩٥٢ واعادة الاوضاع الطبيعية للعراق واستطاع ان يفرض الامن والنظام بالقوة فان الوصي وجد انه من الخطر استمرار بقاء العسكر في الحكم وكان يتخوف ان يتمسك نور الدين بمنصبه الذي اعلن هو نفسه رغبته في البقاء في الحكم امام الوفد البرلماني البريطاني الذي زار بغداد في اواخر كانون الثاني ١٩٥٣. كما ان الوصي كان يتخوف من ان يتشجع احد الضباط الطامعين فيرتكب عملاً من شأنه ان يفرض من خلاله وجوده في الحكومة ولهذا ناقش الوصي موضوع ابعاد نور الدين محمود مع السفير البريطاني واقترح ان يصبح سفيراً للعراق في طهران.

يضاف الى ذلك ان الوصي كان يرغب بعد ان انهت الوزارة مهمتها بتكليف شخصي مدني يمتلك خبرة سياسية يختلف تماما عن نور الدين محمود الذي تعوزه الخبرة السياسية والذي بدا طموحه السياسي يظهر للعيان.

لذا اوضح الوصي لنور الدين محمود رغبته بعودة الحكم المدني وطالبه بالانسحاب من الوزارة وتعينه عضواً في مجلس الاعيان الا انه رفض الاستقالة في بادئ الامر والتخلي عن المسؤولية بشكل مهدد وخطر، وكان وزير ماليته علي محمود الشيخ يشير عليه بوجوب الصمود والبقاء في الحكم .

غير ان نوري السعيد استطاع اقناعه بتقديم استقالته والموافقة على تعينه عضواً في مجلس الاعيان. وكذلك عندما شعر بان اربعة من وزرائه يريدون الاستقالة من مناصبهم لحمله على التخلي عن المسؤولية لذا اضطر الى الاذعان فتقدم بكتاب الاستقالة على مضض وجاء فيها.

سيدي صاحب السمو الملكي الوصي وولي العهد المعظم.

تلبية لارادة سموكم الغالية قد اضطلعت بالمسؤولية في ظروف حرجة، وكنت قد حددت واجبات وزارتي في البيان الذي اذعته في الناس،وهي تنحصر:

باعادة الامن واستقراره.

القيام بالتشريعات المقتضية للتخفيف عن دافعي الضريبة، والتنفيس عن الشعب.

لسن مرسوم يقوم على اساس الانتخاب المباشر، واجراء الانتخابات بموجبه

ولما كانت وزراتي قد انجزت مهمتها، وقامت بواجبها بنجاح تام، بفضل ارشاد سموكم وتعضيده، فارجو من سموكم الملكي معذرتي عن الاستمرار في المسؤولية. ما زلت خادم سيدي المطيع.

٢٣ كانون الثاني ١٩٥٣ نور الدين محمود

ولقد احتفظ الوصي بهذا الكتاب بضعة ايام حتى اذا تقرر تأليف الوزارة الجديدة في التاسع والعشرين من كانون الثاني، وجه الى الرئيس المستقيل هذا الجواب:

تناولت كتاب استقالتكم في ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٣، ومع ابداء اسفي على تخليكم عن منصب رئاسة الوزراء، لابد لي من الاعراب عن فائق شكري، ومزيد تقديري للجهود القيمة التي بذلتموها، انتم وزملاؤكم، لخير الوطن وصلاحه خلال ممارستكم الحكم في الظروف الدقيقة التي مرت بها البلاد.

صدر عن بلاطنا الملكي في اليوم الثالث عشر من شهر جمادي الاول سنة ١٣٧٢ الهجرية الموافق لليوم التاسع العشرين من شهر كانون الثاني سنة ١٩٥٣ الميلادية.

عبد الاله

ينفي نور الدين محمود ما ذكره خليل كنه في كتابه (العراق امسه وغده) ص١٥٥-١٥٦ او السويدي في مذكراته ص٥١٩ من ان الوصي لمح له بالاستقالة ورفض ذلك، ويدلل على رأيه ببقاء كتاب الاستقالة لمدة سبعة ايام عند الوصي فلو كان الوصي هو الذي طلب الاستقالة لقبلها فوراً وشكل وزارة جديدة في اليوم نفسه.

تركت استقالة نور الدين محمود في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣، مرارة كبيرة في اوساط العسكريين، فقد فسرت تلك الخطوة من قبلهم بان البلاط قد الحق اهانة كبيرة بالجيش، بسبب استخدامه اداة قمع ضد الشعب، ومن ثم اخراجه من الحكومة على تلك الشاكلة، وعدوا انه عومل بطريقة سيئة.

وفي ضوء ذلك بدأ الساسة التقليديون الذين تنصلوا من المسؤولية خلال الانتفاضة بالظهور من جديد، حال استتباب الوضع الامني، وتهيئة انفسهم للعودة الى السلطة فاخذوا يطالبون الوصي بعودة الحكم المدني، وهذا ما كان يدور في ذهن الوصي.

وعلى الرغم من اعترافات هؤلاء الساسة بدور نور الدين محمود في انقاذ البلاد من خطر داهم، عندما استطع ان يعيد الاوضاع الى حالتها الطبيعية، الا انهم لم ينكروا تسلطه الديكتاتوري ومحاولاته التحكم بمقدرات البلاد.

وقد استمرت وزارة نور الدين محمود مصطفى شهرين وستة ايام.

لم تستطع وزارة من الوزارات العراقية ان تنفذ منهاجها كاملاً مثلما اتيح ذلك لوزارة نور الدين محمود التي حكمت حوالي الشهرين والتي تسلمت الحكم في ظروف غير اعتيادية. حيث انها قامت بانجازات مهمة على الصعيدين الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الداخلي بذلت الجهود في توطيد الامن وارجاع الحالة الطبيعية الى نصابها. واستجابة لرغبة الامة اصدرت الوزارة مرسوماً يقوم على اساس الانتخاب المباشر لمجلس النواب. واجرت الانتخابات بموجبه.

على اثر استقالة وزارة نور الدين محمود في ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٣ وقبول هذه الاستقالة في التاسع والعشرين من هذا الشهر عهد الوصي الامير عبد الاله الى نصرة الفارسي بتأليف الوزارة الجديدة، فاتصل الفارسي بعدد من السياسيين ليشاركوه في تحمل المسؤولية كما اعرب في غربته في ادخال محمد رضا الشبيبي وحسن عبد الرحمن وخليل كنة وكذلك نور الدين محمود رئيس الوزراء المستقبل كوزير للدفاع في وزارته المرتقبة، فلم يجد من يلبي طلبه هذا لا من الاكثرية النيابية في المجلس الجديد ولا من غيرهم من اقطاب المنظمات السياسية غير الممثلة في هذا المجلس، وكانت حجة الاولين ان يتولى المسؤولية صاحب الاكثرية البرلمانية وكانت حجة الاخرين ان هذه الاكثرية البرلمانية قد تقلب للفارسي ظهر المجن في اية ساعة ارادتها فيكون مصير وزارته كمصير (الوزارة الايوبية الثانية) التي لم تعمر اكثر من خمسين يوماً فكان لزاما عليه – والحالة هذه – ان يعتذر عن هذا التكليف فلما قدم اعتذاره كلف الوصي جميل المدفعي بتأليف الوزارة فالفها في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٣.

عن رسالة (نور الدين محمود ودوره العسكري والسياسي)

ساعة في سدة الهندية سنة 1928

عبد الــرزاق الحسني

ذاكرة

استدعت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٩م المهندس الإنكليزي المعروف بالسير وليم ويلكوكس لإقامة سد محكم عل الفرات بالقرب من قصبة المسيب ليمنع المياه الوفيرة من الانحدار نحو الجنوب من دون أن تستفيد منها مزارع الفرات الأوسط فائدة تذكر. ويكون (الناظم) هو الحكم في توزيع المياه على المزارع والمدن القائمة على عدوتيه توزيعا عادلا يدر على المزارع والفلاح أفضل الخيرات والبركات.

وقد اضطرت الحكومة البائدة إلى استدعاء المهندس المشار إليه للقيام بهذا العمل الخطير على أثر انهيار السد الذي أقامه في عرض النهر المذكور المهندس الافرنسي المسيو شندرفر عام ١٨٨٥م، عندما بدأ الفرات يتحول عن مجراه الطبيعي فيتدفق بغزارة في شط الهندية من دون أن يأخذ جدول الحلة منه قسطه الوافر. والذي يطلع على خارطة العراق وأنهاره، ويلم بمواقع فدنه ومزارعه يدرك – بلا ريب – حاجة المزارع الواقعة على نهر الحلة إلى مياه غزيرة دائمة حتى لا يعوزه القحط فيستحوذ على سكانه كما استحوذ عليهم عام ١٨٧٨م. فلهذا السبب مست الحاجة إلى وضع (ناظم) لماء الفرات وأصبح ذلك الشغل الشاغل لا لأهالي الفرات فحسب بل لساسة العراق وحكومة الأستانة من ورائهم.

زرت سدة الهندية غير مرة فلم اقض فيها وقتا كافيا لدرس طرق توزيع المياه وتعبير السفن وترتيب المناوبة كالوقت الذي صرفته هناك في بحر كانون الأول من سنة ١٩٢٧ فقد بقيت هناك مدة طويلة استطعت فيها أن اقف على ملاحظات دقيقة لا أعتقد أن قراء لغة العرب الزاهرة في غنى عنها.

أقيم سد السر وليم ويلكوكس على أثر انهدام سد المسيو شندرفر الافرنسي فوق أرض تبعد ألف متر عن السد القديم وهو أعظم بناء شيدته يد البشر في بلاد الرافدين حتى ألان. والواقف عليه اليوم يدهش دهشا عند رويته ضخامة ذلك الأثر وهندسته وتبويبه والطرق الفنية المتخذة لرفع الأبواب لتوزيع المياه وتعبير السفن وغير ذلك مما يدهش العقول: طول السد أكثر من ٢٥٠ مترا وعرضه بين الطوارين ٤ أمتار وعدد الأبواب التي فيه ٣٦ وعرض كل منها ٥ أمتار وهذه الأبواب من المعدن وتنزل إنزالا كما ينزل السيف في القراب. واقربتها من الآهين (الحديد المصبوب) وتنزل فيها بواسطة آلات خصوصية

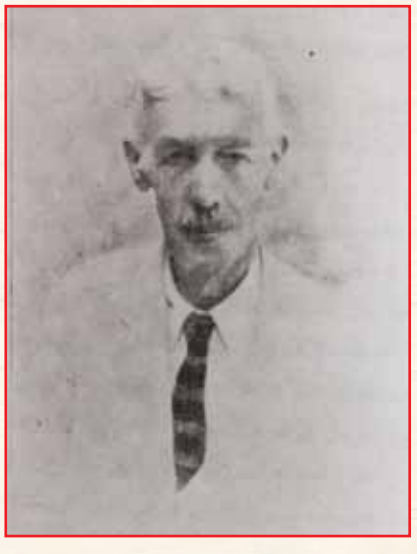

تقام على الاطورة (التيغ) من جهة صدر النهر تسمى مرافع (جمع مرفعة) ويكون ارتفاع منبسط الماء الذي يمر خلال هذا السد ٦ أمتار في وقت الفيضان ويدفع ٢٦٠٠ متر مكعب في الثانية وعرض كل عمود من هذا السد متر ونصف وطوله عند قاعدته ١٣ مترا والسد كله مبني بالطابوق وبالملاط (الشمنتو) ولقد صنع له أكثر من ١٢ مليون آجرة واتخذت الأسس من اللياط والملاط ولم يستعمل فيه من الحجارة إلا حجارة هيت وذلك لتقوية بعض المنحدرات منه وعلى الجانب الأيسر من السد درقتان متتاليتان عرض كل منهما ٨ أمتار وطولها ٥٠ مترا لتتمكن السفن من العبور من جانب السد إلى الجانب الآخر منه. وطرق عبور السفن من جانب إلى آخر مدهشة وخطرة لان الماء الذي في جهة السد اليمنى يعلو الماء الذي في الجهة اليسرى بأكثر من خمسة أمتار أحيانا.

ولهذا تراهم يفتحون أبواب الدرقة اليمنى فتمتلئ ماء حتى يوازي سطح النهر في الجهة اليمنى فتدخل السفينة في الدرقة وتنزل أبوابها ثم تفتح أبواب الدرقة اليسرى فتخرج المياه منها وتنخفض حتى تكون موازية لسطح النهر من الجهة اليسرى فتخرج السفينة عندئذ سالمة من كل خطر. ولكنها قد تنقلب أحيانا فتتضرر وذلك في موسم الطغيان عندما تكون المياه غزيرة وقوية لا تقوى أبواب الدرقتين على مقاومتها.

تفتح جميع أبواب السد – وعددها ستة وثلاثون كما أسلفنا – في موسم الطغيان فتجري المياه في مجاريها الطبيعية وتشترك جميع الأنهار في الاستفادة منها. أما في موسم الصيهود (أي وقت نقصان المياه) فتسد الأبواب بأجمعها وتوزع المياه على البلاد والأنهر بطرق المراشنة (المناوبة). وهذه الطريقة وإن ألحقت أنواع الأضرار الحية والمعنوية بسكان الفرات الأوسط، ولا سيما بأهل الحلة والديوانية في أيام الصيف المناوبة إلا إنها تفيد المزارع فوائد جزيلة، فعوضا من أن تكون المياه نصيب المزارع الواقعة على شط الهندية الكبير فقط، تجد جميع مزارع الفرات وبلدانها تستفيد بهذه الطريقة فائدة واحة مقسمة بينها تقسيما عادلا فنيا. ولو أن الحكومة العراقية الرشيدة عملت بجميع التوصيات الفنية التي أوصى بها السير وليم ويلكوكس المهندس الإنكليزي البارع وأقامت السدود عل دجلة في (سامراء) وفي (بلد) وعلى صدر الفرات قبالة مدينة الكوت وعلى (قرمة علي)

لحصلت على موارد زراعية عظيمة ربما عوضت عن جميع النفقات اللازمة لإنشاء هذه السدود في مدة لا تزيد على أربعة أعوام وبذلك تتخلص من الضائقة الاقتصادية التي لا تزال رازحة تحت أثقالها لان البلاد بلاد زراعية وليست فيها موارد اقتصادية شريفة وعظيمة غير زراعتها فإذا لم تستثمر الحكومة هذا المنبت الحيوي فلا فائدة اقتصادية ترجى لهذا المملكة وإذا قال غاندي أن استقلال الهند قائم على المغازل؛ فنحن نقول أن مدنية العراق المقبلة منوطة بالمحاريث والمناجل وكفى بهذا الاعتبار فخرا.

م. لغة العرب: العدد ٥٦ – ١٩٢٨

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (5363) السنة العشرون
الاثنين (6) شباط 2023

www.almadasupplements.com

رئيس التحرير التنفيذي: علي حسين
سكرتير التحرير: رفعة عبد الرزاق

طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون